Being And Nothingness In The Poetry Of Abi Ala Al Maari (death and a sense of mortality as a model)

Dr. Saleh Najm•
Dima Ahmad••

(Received 8 / 9 / 2023. Accepted 13 / 11 / 2023)

□ ABSTRACT □

There is no doubt that life and death formed a large part of human existence, and anxiety and confusion occupied his mind as he kept pace with this vital continuity between life and its requirements on the one hand, and the power and power of death on the other hand, and death is the opposite of life because of its strangeness that raises wonder in the human soul and the secret of life remains in the hearts humans have a direct impact on souls, as al maari was preoccupied with human destiny, what awaits a person after death? This issue took human undeniable effort from him, as ittook him to broad horizon in which religious faith mixes with philosophical thought, and this sad view turns into a new vision that goes beyond the appearance of life that the senses perceive to its secret lurking in its depths, then his sorrows turn into philosophical reflections that take in a large part the form of judgment, and from which he ended up with opinions on life and death through his experience that he lived, and also his deep philosophical culture.

Keywords: abu_ala al_ maari, being ,death, destin.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

•Doctor, Department Of Arabic Language, Faculty Of Arts And Humanities, Tartous University, Tartous, Syria.
••Postgraduate Student, Department Of Arabic Language, Faculty Of Arts And Humanities, Tartous University, Tartous, Syria.

الوجود والعدم في شعر أبي العلاء المعرّي
(الموت والإحساس بالفناء) أنموذجاً

د. صالح نجم•
ديمه أحمد••

(تاريخ الإيداع 8 / 9 / 2023. قبل للنشر في 13 / 11 / 2023)

□ ملخّص □

لا ريب أن الحياة والموت شكلا جزءاً كبيراً من وجود الإنسان، واحتلّ القلق والحيرة ذهنه وهو يواكب هذه الديمومة الحياتية ما بين الحياة ومتطلباتها من جهة، وسطوة الموت وسلطانه من جهة أخرى، والموت نقيض الحياة، لما يكتنفه من غرابة تثير العجب في النفس البشرية، ويبقى سر الحياة في قلوب البشر له تأثيرٌ مباشرٌ على النفوس، فلقد شُغل المعري بالمصير الإنساني، إذ ماذا ينتظر الإنسان بعد الموت؟ إن هذه القضية أخذت منه جهداً لا ينكر، كما أخذته إلى أفق فسيح يمتزج فيه المذهب الديني بالفكر الفلسفي، وتتحول هذه النظرة الحزينة إلى رؤية جديدة تتجاوز ظاهر الحياة الذي تدركه الحواس إلى سرّها الكامن في أعماقها، ثم تتحول أحزانه إلى تأملات فلسفية تأخذ في قسم كبير منها شكل الحكم، ومنها ما انتهى إليه من آراء في الحياة والموت من خلال تجربته التي عاشها، وأيضاً ثقافته الفلسفية العميقة.

الكلمات المفتاحية: أبو العلاء المعري، الوجود، الموت، المصير.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

• دكتور: قسم اللغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة طرطوس، طرطوس، سورية.
••طالبة ماجستير: قسم اللغة العربية، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، طرطرس، سورية.

مقدمة:

يواجه الإنسان منذ ولادته وبداية انطلاقته في هذا العالم مشكلة الوجود والعدم، ويصطدم بها، ويبدأ صراعه فيمحاولة إثبات وجوده تجاه الآخرين؛ كونه ينتمي إلى حاضنة اجتماعية كبرى تتمثل بأحوال المجتمع المتباينة وظروفه المتمايزة، وتحتل مسألة الوجود في الفلسفة مكانة أساسيّة بوصفها حاضنة لنمط التفكير وأسلوب الحياة، فالإنسان دائماً ما كانت تشغله أسئلة وجوديّة من قبيل: ما أصل الكون؟ وما حقيقته ؟ وما مصيره؟

ضمن محاولات الإجابة وجدت آراء وتيارات عديدة على مرّ تاريخ الفكر الإنساني راحت تفصّل في مفهوم الوجود، ومراتبه، وحقيقته؛ ذلك لأنّ الإنسان هو أول من يتأثّر بالعالم المحيط، ويؤثّر فيه بشكل مباشر.

إنّ المغزى الأساس الذي يكون بين الوجود والعدم هو المعرفة والجّهل، أو الشّك واليقين،وهي بمجموعها أفعال يتبلور المعنى الأساس للوجود من خلالها، ألا وهو تحقيق الذات؛ أي إن وجود الإنسان يتحقّق فعلاً من خلال الأفعال التي تؤثّر فيه سلباً أو إيجاباً، فعدم فاعلية الإنسان في الحياة توصله إلى العدم، ليشكل الموت بعد الإحساس بالعجز مظهراً جوهرياً من مظاهر العدمية، مع الأخذ بالعلم أن الموت لا يصيب الإنسان فقط، بل يصيب جميع الموجودات عن طريق نفي هذه الأشياء خارج حدود الحياة.

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث:

تكمن أهميّة البحث في أنّه دراسة أدبيّة ذات صلة بالفلسفة، وما فيها من ربط للأدب بالكون، كما أنّ أبا العلاء المعرّي عبّر عن شخصيّة متفرّدة فذّة في الأدب والفكر الإنساني، شكّلت في حينها، وربما فيما بعد، انقلاباً على الثقافة السّائدة فيعصره، وترك أبو العلاء المعرّي تراثاً عظيماً من الشّعر والنثر، ونمطاً غريباً من الفلسفة ظلّ مورداً لا ينضب للدارسين والباحثين في عصره وفي العصور اللاحقة، ودراسة ثنائيّة الوجود والعد متسلّط الضوء على المعري من زوايا مختلفة تشمل إبداعه الشعريّ والفلسفي وعلاقته بالمجتمع والناس، كما بيّنها إنتاجه وأفصح عنها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى: الخوض في فكر المعري الذي يتناول فيه عناصر الوجود والعدم من حياة وموت، ومكان وزمان، وروح وجسد، وبعث وخلود، والتّعرّف إلى المأثورات الدينيّة حول الوجود والعدم، وكيف أخضع المفاهيم الدينيّة في الحياة لسلطة الإبداع.

منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج النفسي الاجتماعي انطلاقاً من مجموع العوامل النفسيّة والاجتماعيّة التي أثّرت في شخصيّة المعري وفلسفته الوجودية.

1-ماهية الموت:

يبدأ قلق الموت بخوف وفضول طبيعيين، لكن تجاهله وعدم التعامل معه بحكمة يؤدي بسهولة إلى حلقة مفرغة من القلق؛ لأن ما نقاومه ونتجاهله يستمر في النمو والسيطرة على أفكارنا، ولا يعد الموت بحدّ ذاته اضطراباً، ولكن تكمن

المخاوف الوجودية في صميم عدد من اضطرابات القلق، واضطراب ما بعد الصدمة بلا سبب مع عجز عن السيطرة عليه أو إيجاد منطق يبرره.

وماذا لو كان باستطاعتنا ونحن على فراش الموت استعراض كل ما مررنا به في حياتنا؟ كيف سنشعر حيال ما فعلناه فيها؟ هل سنشعر بالفخر بما أنجزنا؟ هل سنشعر أننا عشنا حياتنا كما ينبغي دون أن نهدر أي فرصة أم قد نشعر بالندم؟

إن تأمل مثل هذه الصورة في وقت مبكّر كفيلة بدفعنا لتغيير الطريقة التي نتصرف بها، كأن يتخيل المرء نفسه قد وصل إلى الآخرة وأن ما قام به ليس سوى جزء من سلسلة عظيمة للحياة تربط الحاضر بالأجيال التي سبقته وبتلك التي ستلحقه مستقبلاً، ربما نرى مشهد الحياة بشكل أكثر شمولاً، وندرك أن الأحياء والأموات موجودون في المكان نفسه ولا شكّ أن القيام بهذه القفزة التخيلية تمثّل تحدياً كبيراً، وذلك بمساعدة عقلية تتضمن السفر ذهنياً عبر الزمن، والمعروف أن الكائنات الطبيعية تعشق الدنيا وتحب الحياة وتكره الممات، وتؤثر الشقاء فيها على الموت والفناء، والسؤال هل تصالح المعري مع الموت؟ هل هو حيٌ فعلاً أم هو ميّت ويتصور أنّه من الأحياء؟ ومن منّا يعيشُ، ومن منّا ميت تحت غطاء جسده؟.

يُعرّف الموت بأنه توقف الكائنات الحية نهائياً عن القيام بأي نشاط وظيفي حيوي كالتنفس والتفكير والأكل والشرب، وبمنظور ديني هو خروج الروح من جسم الإنسان لتنتقل إلى مرحلة أخرى، أمّا المعري فقد افترض عدداً من الافتراضات حول ماهية الموت، إذ رأى أنّه نوم طويل، وقارنه مع النوم الذي هو موت قصير، وقد تحيّر العلماء والفلاسفة في ماهية النوم وحقيقته، كما تحيروا من قبل في ماهية الموت وحقيقته، فالموت والنوم من جنس واحد يمتلكان حكماً واحداً، وعليه فإن روح الإنسان تنتقل حال الموت والنوم من بدن الإنسان ومن هذا العالم إلى عالم آخر حيث يستقر الإنسان عند النوم على الأرض في حين تسير روحه في عوالم أخرى ثمّ تعود، ويستقر بدن الإنسان عند الموت على الأرض أو تحتها وتنتقل روحه إلى عوالم أخرى فلا تعود.

يقول المعري:

والموتُ نومٌ طويلٌ ما لهُ أمدٌ والنومُ موتٌ قصيرٌ فهوَ مُنجابُ[1]

ولا بدّ من الإشارة إلى فضل النوم عليه، فيقول:

وفضيلةُ النومِ الخروج بأهله عن عالمٍ هو بالأذى مجبولُ[2]

وقد تكون هذه المقاربة من قبيل أنها سبيل للراحة، فالإنسان يرتاح من مشقّة هذه الحياة العبثية، ويؤكّد ذلك بقوله:

ضجعةُ الموت رقدةٌ يستريحُ الـ جسمُ فيها، والعيشُ مثل السهادِ[3]

غير أن الموت يأتي إلى أقرب الناس لك ويأخذهم، وفي النهاية يأتي إليك، لأنه يشكّل عند أبي العلاء الدّاء الذي ينتقل من الآباء إلى الأبناء حتى يطول الجميع، يقول:

لا يعجبنَّ الفتى بفضلٍ فإنّه مُقتضى بوعدِ

والدهُ خصّهُ بعدوى من موتهِ والحِمامُ يُعدي[4]

---

[1] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص70. منجاب: منكشف.**

[2] – **سقط الزند: أبو العلاء المعري، ص257.**

[3] –**المصدر السابق: ص8.**

إن الموت والحياة لله وحده، فالله تعالى هو الذي يحدد متى يخلق الإنسان ومتى يموت، والجزع من الموت لا يردّ المصيبة بل يضاعفها، وإذا تصالح الإنسان مع الموت وسخط من الدنيا، وقتل نفسه اعترضاً على قضاء الله، وإذا علم المريض بوجود علاجٍ لدائه، واستبشرت نفسه أعانه ذلك على تجاوز ما هو عليه من الهمّ والغمّ، وخفّ عليه ثقل المرض، ربما كان ذلك سبباً من أسباب زوال ما ألم به، ومن المعروف أنّ الشخص إذا رسم في ذهنه صورة معينة يريدها، وبقي يفكّر بها يجذبها إليه. وربما استقرت في ذهن المعري صورة مغايرة تحسّن من صورة الموت المعتادة، فمرّة يهوّن على نفسه الموت وينسى ألمه وخوفه، ومرة يقربّه منه ليموت بقضاء الله دون قتل نفسه، أو لعلّه ينعم بالحياة ما بعد الموت.

"هناك مذهب فلسفي وضع لمواجهة هذا الموقف وليسهل من ناحية أخرى التأقلم مع الموت، وهو يتميز لا بالجهد الذي بذل لبلوغ هذا الهدف، بغير تحدّ لرؤية الموت على ما هي ماثلة في التجربة الحسية، وإنما كذلك على وجه الدقة بتأكيد فناء النفس، فليست المعرفة بالنسبة لأبيقور غاية في ذاتها وإنما هي علاج للنفس، وهو يدعو موجزاً لنظرياته الأساسية باسم العلاجات الأربعة وهي: لسنا بحاجة إلى الخوف من الله، الموت يعني غياب الإحساس، من اليسير تحقيق الخير، من اليسير احتمال الشر."[5]

إنّ الموت والسعادة لفظان متناقضان فكيف يمكن للموت أن يكون سبباً في السعادة وهو الذي اقترن به الحزن والفقد؟ "إنَّ الحزن هو الحال المتناقضة للحياة على نحو يشبه الموت، فالحزن هو رفضنا لأن نقرّ أنّ الموت لم يأخذ منّا حريتنا؛ لأن نعيد إقامة الاتصالات التي حطّمها"[6]، ربما فكرة الموت لا تخيف المعري؛ لأنه قد تصالح معها بالقدر الذي يجعله يعيش حياته غير خائف، وقد كوّن لديه فضول اكتشاف ماذا بعد الموت؟ ماذا ينتظرني في العالم الآخر؟ يرى المعري أن الموت هو السعادة وأن ساعة الموت لا تقارن بأي ساعة أخرى لما فيها من أضعاف السرور، إذ يقول:

إنّ حزناً في ساعة الموتِ أضعا ف سرورٍ في ساعةِ الميلادِ[7]

وتارة يراه المعري حظاً للإنسان، أمّا الحياة فلا تجلب إلا الشقاء لأنها تزيد من ذنوبه التي تسجل في صحائفه، وفي هذا يقول:

الموتُ حظٌ لمن تأمّلهُ وليس من العيش أن تؤمّلَ حظْ

لاسيّما الذي يخطُّ عليهِ الـ ـوزرُ إن قالَ أو رَنا ولحَظْ[8]

"ليس اختيار الحياة في مواجهة الموت بالأمر الهيّن، فالموت هو في آخر الأمر صاحب قوة، فهو قوة موجهة ولا يمكن التوصل إلى تسوية أو مساومة معه، وبما أنّه يمارس دائماً على أنّه انفصال مفروض فهو يبدو وكأنه عامل لشيء آخر غير نفسه، فسواء اعتبرناه إرادة مشخّصة أو سمة طبيعية في بنيان الأشياء أو مسار التاريخ المقدّر أو عواقب الخطيئة فإنّه يظل مع هذا عاملاً، وعلى هذا فهو شيء غريب عنا مضاد لنا، ومن الواضح أنّه نتيجة لعجزنا بالنسبة لهذا العامل فإننا لا نستطيع أن نقابل الموت بشروطه، فإذا كان الموت يستخدم ضعف البدن فلن نكسب المعركة معه بتقوية البدن، بل إن المفكرين الذين يأخذون هذه النظرة ينصحوننا بأن نسلّم الجسد للموت وأن نذهب بالحياة إلى مكان

---

[4] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، 256.**

[5] –**الموت في الفكر الغربي: جاك شورون، تر: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، 1984م، ص64.**

[6] – **الموت والوجود: جيمس ب كارس، تر: بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، ص9.**

[7] – **سقط الزند: أبو العلاء المعري، ص8.**

[8] –**اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص83.**

آخر، إلى الذهن أو ربما إلى الروح أو إلى ما هو الكل المطلق"[9].ربماهذه الرؤية تدل على اعتقاده بالجبرية وهذا ما دفعه إلى الإيمان بالحظ وتبعاً لاعتقاده بالجبرية سنجده يعدّ الموت فرضاً، إذ يقول:

تباركتَ إنّ الموت فرضٌ على الفتى ولو أنّه بعضُ النجومِ التي تسري

نَمرُّ سِراعاً بينَ عَدْمَينِ ما لنا لباثٌ كأنّا عابرونَ على جسْرِ[10]

ويجعله من جهة أخرى غاية قريبة من نفسه ومن نفوس البشر جميعاً، الموت هو آخر ما بقي عليه من ذنوب، إنه الموت الذي يصفو به من سيئاته فإذا تجاوزه نجا من كل هم وغم، ووصل إلى كل سرور وفرح. وها قد بدأ الموت يقترب وسيرحل المعري عن هذه الدنيا، ولكن ماذا بعد؟ لا أدري بالتأكيد سينتهي كل شيء، إن هذا الفراغ الذي يقع فيه أمثال هؤلاء هو عدم إدراكهم غاية خلق جميع الموجودات، والإنسان الذي ألقى نظرة من حوله سيدرك أن هذا النظام الفريد من نوعه الذي يحيط به قد أوجده وصوّره خالق ينفرد بقدرة غير محدودة. يقول:

وأعلمُ أنَّ غايتي المنايا فصبراً تِلكَ غايةُ كُلّ قومِ[11]

لماذا كان الموت غاية عند المعري؟ قد يكون ردّة فعل على ما حمله الزمن عليه من إهانة، فوصف الحياة بأنها ظلّ مؤقت تنتهي بعد زمن، وهو بذلك يحاول التخلص من هذه الإهانة غير أنه لا يحسن العوم فيوشك على الهلاك، ليقول:

وسامتني إهانتها الليالي ومَنْ لي أن تخليني وسوْمي[12]

وأيام الحياة ظلالُ عترٍ ومن لي أن يكون ظلالُ دومِ

أعومُ اللجَّ والحيتان حولي وما أنا محسنٌ في ذلكَ عومي[13]

إن الشعور بالوحدة موجود عند كافة أطياف المجتمع بما في ذلك الأشخاص الذين انخرطوا في علاقات متينة، فيمكن أن يشعر المرء بالوحدة حتى وهو محاط بأناس آخرين، فهل يمكن للموت أن يشعر المعري بالأمان ويحقق غايته المرجوّة من الدنيا؟ نرى المعري يرفع من قيمة الموت لكونه يمحو خلافات الدنيا ومفارقاتها ويعود الإنسان به إلى السكون والثبات، يقول:

إن الذي الوحشة في دارهِ تؤنسهُ الرحمةُ في لحدهِ[14]

إنّ التعارض بين راحة الدنيا وراحة الآخرة، بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة إشكالية تتكرر كثيراً، ولكنّها محسومة بالنسبة للمؤمن، فالموت عند المعري هو راحة للطيبين وكذلك راحة من العاصين، يستريح منه أهل الأرض ومن أذاه، كما أنه يريح الجسد من العناء، فمنذ أن صار التراب إنساناً لقي العناء والتعب واستمرت مشقته إلى أن عاد تراباً كما بدأ، ويجعله من جهة أخرى غاية قريبة من نفسه ومن نفوس البشر جميعاً.

إنّ التعارض بين راحة الدنيا وراحة الآخرة، بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة إشكالية تتكرر كثيراً ولكنّها محسومة بالنسبة للمؤمن، فالموت عند المعري هو راحة للطيبين وكذلك راحة من العاصين، يستريح منه أهل الأرض ومن أذاه، كما أنه يريح الجسد من العناء فمنذ أن صار التراب إنساناً لقي العناء والتعب واستمرت مشقته إلى أن عاد تراباً كما بدأ، فيقول:

[9] – **الموت والوجود: جيمس ب كارس، تر: بدر الديب، ص9.**

[10] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص357.**

[11] – **المصدر السابق: ج2، ص327.**

[12] –**المصدر السابق ، ج2، ص327.**

[13] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص327.**

[14] – **سقط الزند : أبو العلاء المعري، ص28.**

التربُ جدّي وساعاتي ركائبُ لي والعيشُ سيري وموتي راحة الجسدِ[15]

ويقول في موضع آخر:

وما زال هذا الجسم مذّ فارقَ الثّرى على تعبٍ حتّى أعيدَ إلى الرّمسِ[16]

وقال المعري أبياتاً أخرى دلّ فيها على فضل الممات، منها:

من لي أن أقيم في بلدٍ أُذكرُ فيه بغير ما يجبُ[17]

ومنها، في موضع آخر:

أقررْتُ بالجهلِ وادّعى فَهمي قومٌ فأمري وأمرهم عَجبُ

ما أوسعَ الموتَ يستريحُ بهِ الجسمُ المُعَنّى ويَخفُتُ اللَجَبُ[18]

نحن نحبّ الحياة على الرغم من صعوبتها وعذاباتها، وعلى الرغم من أنّها غير عادلة، والسبب يكمن في ديناميكيتها حيال الحركة والتغيير، ولا نطلب فيها المساواة بين البشر؛ لأن المساواة صفة الموت، مهما مازت الحياة بيننا، فهناك سلطة عادلة تساوي بين البشر، وفي النهاية، وبغضّ النظر عن المكانة والشهرة والثقافة، هذه السلطة لا تعرف التمييز الذي فرض نفسه في الحياة، أو بعبارة أخرى تصلح وتوحّد ما أفسدته الحياة، فالموت هو المساواة الأكبر بين الخلائق، بين الملك والخادم، بين الفتى والشيخ، بين الصحيح والعليل، فكلّنا نموت ومصيرنا هو التراب، إذ قال:

واجبن أو اشجع فطرقُ الموتِ واحدةٌ والظبيْ فيهنَّ مثلَ السّيدِ والأسدِ[19]

ومن هنا يمكننا القول إن أبا العلاء أخذ بفكرة الموت وعدّها فضيلة ووسيلة لتخليص الروح والجسد من عناء الحياة، وراح يفضل الموت على الاستمرار في العيش، ولعل الموت حقق العدل أكثر من الحياة، ولذلك ظل المعري يتأمل ويبحث ويسأل عن أسباب الموت.

2-عاطفته تجاه الموت:

رأينا المعري يتحدّث عن الموت على أنه يمثل وسيلة خلاص من حياة كلها شرور، لكن يبدو في عاطفته وموقفه من الموت وقبل مرحلة التّقبل يمرّ في مرحلة الخوف، الخوف الذي يمثل العائق الوهمي، إذ نصنعه بأنفسنا تحت ضغوط معينة فرضتها علينا البيئة أو المجتمع، مجرّد قناعات ربما أُقنعنا بها مجبرين، إنّها تجعل منه وحشاً قاتلاً، قاتلاً لكل إبداع، قاتلاً لأبسط وأكبر طموح، وكيف إذا كان الخوف خوفاً من الموت؟ هذا النوع يلفّ حولك حلقة وهمية ويحبسك في داخلها، وقد تفيق من هذا الحصار، وقد لا تفيق إلّا وقد فات الأوان، فهل المعري بقي خائفاً قلقاً من الموت والمصير المجهول أم أنّه تغلب على هذا الشعور بالتقبل والمسالمة معه؟

"لعلّ من أهم الأسباب التي تدعو إلى الخوف من الموت والقلق من جزائه بالمقارنة بغيره من الموضوعات المثيرة للكراهية كالفشل والعوز والمرض، والمسبب للقلق كالعمل والمستقبل والأبناء أن الإنسان يكون لديه أمل في التوصل إلى

---

[15] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص250.**

[16] – **المصدر السابق: ج2،ص33.**

[17] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص78.**

[18] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص79.**

[19] – **المصدر السابق: ج1، ص251.**

حلّ هذه المشكلات يوماً ما أو بطريقة معينة، أمّا الموت فليس كمثله شيء، إنّه مرض الأمراض الذي لا شفاء منه أبداً"[20].

نرى المعري تارة يبدو خائفاً لا يستطيع أن يتمتع بهذه الحياة؛ لأنه سيأتي في نهايتها الموت، ولكن هذا يبقى أحبّ إلى قلبه من شقاوة هذه الحياة وشقاء من يهرم وتغلبه الدنيا وترميه سهامها، يقول:

وكيف أقضي ساعة بمسرّةٍ وأعلمُ أنَّ الموتَ من غُرَمائي[21]

ويقول أيضاً:

أهابُ منيّتي وأحبُّ سِتري وخوفُ الشّيخ من هرمٍ وهترِ[22]

ويقول في موضع آخر:

وسرتُ عمري إلى قبري على مهلٍ وقد دنوتُ فحُقَّ الخوفُ والهلعُ[23]

ربما يهوّن على المرء التفكيرُ السليم بهذه المسألة، أمّا من تأخذهم العواطف فيزداد قلقهم من الآتي، حيث "يتضح انشغال اسبينوزا بالموت كذلك الذي أبداه لمشكلة السيطرة على الخوف منه، فهو يؤكد أن العقل الذي يحقق معرفة أسمى هو أقل خضوعاً لتلك الانفعالات الشريرة، ويقف في رهبة أقل من الموت"[24]، فيشير المعري إلى خشية الناس من الموت لقلقهم من الحساب وما قد يلاقونه من العذاب، إذ يقول:

ونخشى عذاباً في الممات وإننا لأهلُ عذابٍ في الحياةِ أليمِ[25]

"إنّ الخوف من العقاب على ما ارتكبه المرء من جرائم ليس هو السبب الوحيد للخوف من الموت، فالموت ينظر إليه أيضاً على أنّه أشبه بلصّ عندما يأتي ينتزع من قبضتنا كل ما هو لذيذ وطيب، ويعالج أبيقور هذه المشكلة على نحو أكثر تعقيداً ودقة وأقل مباشرة، فهو يشير إلى أنّنا ما دمنا لا نستطيع أن نتنبأ بالمستقبل فالأولى بنا ألّا نتطلع أبداً إلى مصدر سرورنا ولذتنا، فكل من يفعل ذلك معرّض لأن لا تتحقق له هذه الرغبة، ويصبح محبطاً في مسيرة حياته، فكل ما نأمل فيه من المستقبل معرّض للتهديد الدائم من التغير والموت، ولهذا تكون كل آمالنا ممزوجة بالقلق، وإذا ربطنا أنفسنا بمستقبل غير مأمون فإننا نجعل حياتنا في الحاضر بائسة شقية"[26].

لقد سعى الإنسان منذ أقدم العصور إلى الحصول على زنبقة الخلود غير أن ذلك ظلَّ حلمه المستحيل، إذ ما من قوّة استطاعت قهر الموت، ولكن الإنسان نجح في قهر قرين الموت ألا وهو النسيان فتوصّل إلى أن الخلود ليس بالقيمة المادية بل هو بالقيمة المعنوية، فهل نجح المعري في السعي وراءها إلى بلوغ الحياة وتحقيق الأبدية على وجه هذه الأرض الفانية، ليكون الموت بداية حقيقية له لا نهاية لوجوده؟ وهل ساعد ذلك في حبّ المعري للموت؟

إن أبيقور يقول:" ألا فلتعتد الاعتقاد بأن الموت لا يعني شيئاً بالنسبة لنا، فالخير كله والشر جميعه يكمنان في الحس، لكن الموت حرمان من الحس، من هنا فإن الفهم الصحيح هو أن الموت لا يعني شيئاً بالنسبة لنا، وذلك يجعل فناء

---

[20] – **قلق الموت: د. أحمد محمد عبد الخالق، عالم المعرفة، الكويت، 1987م، ص12.**

[21] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص50.**

[22] – **المصدر السابق: ج1، ص372.**

[23] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص89.**

[24] – **الموت في الفكر الغربي: جاك شورون، تر: كامل يوسف حسين، ص133.**

[25] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص313.**

[26] – **الموت والوجود: جيمس ب كارس، تر: بدر الديب، ص51.**

الحياة أمراً يمكن الاستمتاع به لا لأنه يضيف إليه مدى لا نهائياً من الزمن وإنما لأنه يستبعد شوق الإنسان للخلود، فليس هناك ما هو مرعب في الموت، من هنا فإنه في تكاسل يتحدى ذلك الذي يقول بأنه يخشى الموت لا لأنه سيكون مؤلماً حينما يحلّ، وإنما لأن توقعه أمر مؤلم، فإذا لم يكن يؤلم عند حدوثه فلا يثير توقعه إلّا خوفاً، وهكذا فإن الموت وهو أعظم الشرور لا يعني بالنسبة لنا شيئاً، حيث أنه طالما كنّا موجودين فإنه غير موجود، ولكنه حينما يحل فإننا لا نكون موجودين، وهكذا لا يثير القلق في الأحياء ولا الموتى، فهو بالنسبة للأوائل ليس موجوداً، أمّا الأخيرون فإنه لا يصبح لهم وجود حينما يحلّ"[27].

على الرغم من خوف المعري من الموت إلّا أنه يبرز عاطفة الحب، والشعور بالسعادة تجاهه، ولكن هل تكون هذه العاطفة نابعة من قلبه أم أنها جبرية ليست بيديه تجاهها أيّة حيلة؟ وكيف يمكن أن يقترن الحب بالموت؟ إن فكرة الحب تجاه الموت موجودة منذ القدم، وهذا الحب الذي خلق ربما يكون عفوياً أو غير عفوي، وربما يكون نسبة للتقاطع بين الحب والموت، فالحب الحقيقي لا يفنى والموت هو الخلود، ولا يمكننا أن ننكر أن جلَّ قصص الحب الخالدة في الذاكرة الإنسانية، وأكثر الأساطير تنتهي دائماً بموت أحد المحبين أو كليهما، وقد يكون السبب في ذلك الحب المصطنع للموت بالرغم من امتداد العمر به والعجز، يقول:

وأحسبهُ لو جاءني لأبيتهُ ومن عند ربّي نصرتي ومعونتي[28]

المعري متيقن أن الموت لا يدفع عنه وهو حتمي، ولكن طلب معونة من الله لتخطي هذه الحياة الشاقة، وسنجده يعبر عن حبّه للموت من خلال ترحيبه به، وذلك لأنه عاش الحياة وظلماتها وأراد التخلص منها ولم يجد سوى الموت ليخلصه فيقول:

مرحباً بالموتِ والعيشُ دُجى وحمامُ المرءِ كالفجرِ سطعْ[29]

لقد تحولت نظرة المعري إلى الموت فأصبحت كل مشاعره حباً له، ربما لأنه رأى فيه حصناً قوياً يحمي المرء ويخلصه من الخطوب التي كانت تصيبه في الحياة، فالإنسان يعيش في مراحل يتمنى قرب الموت فيها وهي "المرحلة الأولى هي تلك التي يشعر فيها المرء بأن العالم مليء بالآلهة ويحس أن حضورها وقوتها أمر سافر ومباشر، وفي المرحلة الثانية يتم تباعد المقدس الإلهي وما ينتج عن ذلك من إدراك أن هناك هوّة بين الوجود الإنساني والوجود الإلهي، وأما المرحلة الثالثة فهي رحلة التصوف في بحث عن السر الذي يغلقها ويطويها، والطريق الخفي الذي يجتازها ويعبرها"[30].

3-أسئلة وجودية حول الموت:

إن فكرة الموت في حدّ ذاتها تمثّل نهاية مطلقة، وما يترتب على ذلك من استحالة تحصيل أيّة معرفة مباشرة حيالها، وهذا يمثّل إشكالاً حاداً في فهمنا لمعنى أن نوجد كأشخاص، ومهما كانت بقيّة فهمنا لأنفسنا واضحة أو كاملة فإن الموت سيظلّ أمراً ملتفّاً على نفسه، ومهما كانت دقّة ما أقمناه من خطط للتفكير فسيظلّ الأمر في الحقيقة أنّ كلاً منّا سيتلاشى في الظلمة النهائية، وعندما يوضّح الأمر على هذا النحو فإنّه يبدو بداية على أنّه يقدّم لنا إشكالاً لا يحتمل

[27] – **الموت في الفكر الغربي: جاك شورون، تر: كامل يوسف حسين، ص66-67.**

[28] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص150.**

[29] –**المصدر السابق: ج2، ص101.**

[30] – **الموت والوجود: جيمس ب كارس، تر: بدر الديب، ص78.**

ولا يحلّ، قد يبدو لنا لا جدوى من الانشغال بالتفكير على الإطلاق، وليس بالمستغرب أن الأشخاص الذين ينشغلون بفنائهم قد يستجيبون بذلك لإحساس اللا جدوى الذي يتغلّغل في كل جانب من جوانب وجودهم، وقد تعمّق هذا القلق الذي يسكن قلب المعري، فيتساءل مخاطباً غائباً جسداً وروحاً عن الحياة، ليعرّفه ما الموت؟ فيقول:

يا ساكنَ اللحدِ عرّفْ نيَ الحِمامَ وإرْبه[31]

لقد طرح المعري العديد من الأسئلة الوجودية التي لم يتّجه بها إلى معيّن، وإنّما كانت تظهر قلقه الوجودي وتدل على انقطاع أخبار الميت عند وضعه في القبر، ولكن دفعه الغموض والخفاء الذي يلتف حول سرّ الموت، وعدم معرفة المعري فكّ لغزه إلى أن يسأل من يساعده على كشف هذا السّر. حتماً ما من أحد تمكّن من إجابته، ولا أظن أنّه ينتظر جواباً، وإنما أراد أن يؤكّد بؤس البشر ونفي السعادة عنهم، يقول:

أيا طفلَ الشفيقةِ إن ربي على ماشاءَ من أمرٍ مقيتُ

تكلّم بعد موتكَ باعتبارٍ وقد أودى بكَ النبأ المقيتُ[32]

ويجيبه الطفل قائلاً:

تركتُ الدارَ خاليةً لغيري ولو طالَ المقامُ بها شقيتُ

وما يُدريكِ باكيتي؟ عساني لسُكنى الفَوزِ في الأخرى انتُفيتُ[33]

ولنا أن نتساءل: صوت من هذا الذي يستخدمه المعري، وهو يدلى بشهادته، هل هو صوت طفل تنحّى جانباً ليواسي صديقاً أو ليستغرق في خيالات وأحلام؟ لعلنا نلمح في هذه المحاورة بعضاً من مأساة المعري النفسية، فهذا الطفل الميت الذي يستدعيه ربما هو صوت آخر له، والعبرة التي ينطق بها هي أنّ موته مبكّراً كانت راحة له من العناء.

كما تبقى الأسئلة المبهمة تراود ذهن المعري عن ماهية الموت وحقيقته، وما علاقته بحريتنا الإنسانية كأفراد وبقيمة وجودنا؟ وهل يشعر الموتى بقرب نهاية الأجل؟ وهل يشعر الموتى بما يجري في الحياة من أحداث؟ كما هل يعرفون أخبار الناس التي كانت مخبأة من قبل؟ هل يستطيعون تقديم النصيحة لهم؟ هل يلتقي الأموات في حياة البرزخ؟ هل يمر كل البشر بسكرات الموت؟ هل كل ما يصيب الإنسان من مرض أو غم سيكون كفّارة لذنوبه؟

يقول:

لنا أربٌ لم نقضهِ منكَ فادَّكرْ لكَ الخيرُ هل بعدَ الحِمامِ تلاقِ[34]

ومن أسئلته أيضاً قوله:

هل يشعرنَّ الميتُ إن ظَهْرُ الثَّرى بالحيِّ زُلْزِلْ؟[35]

في زمن عاشه المعري أصبح المنافق يؤخذ بمشورته، فعرفت الأجيال أنّ الشهرة هي سبب السعادة حتى ولو كان الشرف هو الحل وراء ذلك، وما تلك الأشياء إلّا موت لضمير كان موجوداً، فكم من جاهل يتحدّث الآن ويبدي رأيه في أمور لا تمت له بصلة! عندها أصبح العالم كلّه تحت رحمة أنياب المادية البشعة التي لا مجال فيها لعيش الإنسان كإنسان، ولكن الموت سيأتي ويزيل كل هذا الصّيت، ومنه قوله:

---

[31] – االلزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص97.

[32] – اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص139.

[33] – المصدر السابق: ج1، ص140.

[34] – المصدر السابق: ج2، ص144.

[35] – اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص261.

أترغبُ في الصيتِ بين الأنامِ وكم خَملَ النّابهُ الصّيتُ
وحَسبُ الفتى أنّهُ مائتٌ وهل يعرفُ الشرفَ الميّتُ[36]

هذا السؤال موجّه إلى كل إنسان يسعى إلى الشهرة بين الأنام، إذ سأله المعري مستنكراً: أترغب في الصيت بين الأنام؟ وإذا كان جوابه نعم، سينبهه إلى أن الموت سيأتي ويزيل كل هذا الصيت.

ويقول في موضع آخر:

وإذا الفتى كان التراب مآلهُ فعلامَ تسهرُ أمّهُ وتربّتُ[37]

غير قليل من الناس لديهم هذا السؤال: لماذا أعيش؟ ومنهم المعري ولكن كنت أسأل نفسي نفس السؤال بصيغ مختلفة، مثلاً: إلامَ أطمح؟ لماذا أجمع المال؟ لماذا عليّ أن أكون صالحاً مع أناس سيموتون وأنا أيضاً؟ لماذا نهتم بتفاصيل دقيقة في حياة سوف تنتهي؟ لماذا أشقى؟ لماذا أفكر في أبسط متطلبات الحياة حتى أعيش إلى أن أموت؟ ما معنى الحياة؟ هذه التساؤلات طبيعية، ونحن البشر نجهل ما الذي سيحصل لنا بعد الموت.

4-البعث والخلود:

بمقدورنا إعادة التفكير في علاقتنا مع الموت، من خلال النظر إليها عبر مفهوم الزمن، وسيؤدي ذلك إلى أن ندرك أن البشرية وكذلك حياة الأشخاص عبارة عن قصة كونية ممتدة لتبدأ رحلة ما بعد الموت، وهنا ستبدأ الحياة الأبدية في ظل الحرية الكاملة والأمان المطلق.

كثرٌ هم من يؤمن ببعث الأرواح وحدها أو بعثها مع الأجسام، وقد اطمأنوا إلى أن حياتهم بعد الموت متصلة بحياتهم قبل الموت ومتأثرة بها، يعلمون إلى أين هم ذاهبون وإلى أي حال هم صائرون، هذا التفكير يعطيهم الأمل والكثير من الأمن والسلام، وخروج أرواحهم من هذا السجن لن يدفعها إلى المجهول.

وهناك من لم يطمئن إلى هذا الاعتقاد ولم تسكن إليه نفسه ولم يسترح إليه عقله، يؤمن مرة فيخاف، وينكر مرة فيدركه اليأس، إنهم قلقون لا يستقرن، إنهم معذبون دائماً، وهنا سنتعرف رأي المعري في هذه القضية وقد قسمناها إلى قسمين:

أ-الروح والجسد:

الموت هو مفارقة الروح للجسد، ولكن ثمة اختلاف في هذه الروح، هل تعود إلى الجسد أم تعود إلى جسد آخر؟ وتختلف في كيفية خروجها وخلوصها من هذا البدن أم هي خروج الروح من الجسد بوساطة ملك من الملائكة هو ملك الموت على ما أعد لها من نعيم أو عذاب؟ وهل المقصود بموتها مفارقة الجسد؟ وهل الموت نهاية لوجود الإنسان أم مرحلة جديدة من مسيرته؟

إن الجسد هو "الضد الذي تؤكّد الروح وجودها بقمعه وكبحه وردعه والتسلق عليه، وبقمع الجسد وردعه وكبحه تسترد الروح هويتها كأميرة حاكمة، وتعبّر عن وجودها، وتثبت نفسها، وتستخلص ذاتها من قبضة الطين، وتصبح جديرة بجنتها وميراثها السماء كلّها، ومقعد الصدق إلى جوار الله وهذه هي السعادة الحقّة"[38].

---

[36] -المصدر السابق: ج1، ص144.

[37] - المصدر السابق: ج1، ص140.

[38] - الروح والجسد: مصطفى محمود، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1998م، ص23.

يقول طه حسين" ليس لأبي العلاء في الروح رأي ثابت، فقد ذهب فيه مذهبين مختلفين أحدهما مذهب أفلاطون وهو أنّه جوهر مجرّد قد أُهبط إلى هذا البدن ليبتلى فيه، ثمّ هو عائدٌ بعد الموت إلى العالم العقلي؛ فمعذّبٌ أو منعّمٌ بما بقي فيه من تذكار ما كان له في الحياة من إساءةٍ أو إحسان"[39] وفي ذلك قوله:

ياروحُ كم تحملينَ الجسم لاهيةً أبليتهِ فاطرحيه طالما لُبسا[40]

ويقول في موضع آخر:

كإنائك الجسمُ الذي هو صورةٌ لكِ في الحياة فحاذري أن تُخدعي[41]

والثاني "مذهب الماديين من قدماء الفلاسفة، وهو أن الروح نار يخمدها الموت"[42]، يقول:

دولاتكم شمعاتٌ يستضاءُ بها فبادروها إلى أن يطفأ الشمعُ

والنفسُ تَفنى بأنفاسٍ مُكرّرةٍ وساطعُ النّارِ تُخبي نورَهُ اللُّمَعُ[43]

على أن لأبي العلاء رأياً في الروح يؤكد ميله إلى مذهب الماديين، فإن أفلاطون يرى أن الروح خير، وأن الجسم والمادة هما مصدرا الشر، أمّا أبو العلاء فيرى أن الخير في الجسم، وأن الشرير هو الروح، وفي ذلك قوله:

أعائبةٌ جسدي رُوحهُ وما زالَ يَخدمُ حتّى وَنَى

يُنافي ابنُ آدمَ حالَ الغصونِ فَهاتيكَ أجنَتْ وهذا جَنَى[44]

وقد شكّ في أمر الروح بعد الموت، حيث يقول:

لا حسَّ للجسم بعدَ الروحِ نعلمه فهل تحسُّ إذا بانتْ عن الجسد؟[45]

وما يؤيّد فيه رأي الماديين أنه شكّ في أنّ الروح هي النار أو الهواء، يقول:

رُوحٌ إذا اِتّصلتْ بِشخصٍ لَم يزلْ هُوَ وَهيَ في مَرضِ العناءِ المُكمِدِ

إن كُنتِ مِن ريحٍ فَيا ريحُ اِسكُني أو كُنتِ مِن لَهَبٍ فَيا لَهبُ أخمُدِ[46]

يقول عمر فروخ "إذا عرف المعري ماهية الجسم فإنه لم يستطع أن يعرف ماهية الروح، ولذلك رمز إليها على ما كان شائعاً في زمنه"[47]، يقول:

والروحُ طائرٌ مُحبَسٍ في سجنهِ حتّى يَمُنّ رَداهُ بِالإطلاقِ[48]

كما "يورد المعري رأي الأفلاطونيين المحدثين وهو أن النفس إذا فارقت الجسد صعدت إلى الملأ الأعلى، ولكنك إذا سألت المعري رأيه الخاص فإنّه يعلن بكل صراحة أنه لا يعرف مصير الروح، ولا يمكن لأحد أن يعرفه"[49]، يقول:

---

[39] – تجديد ذكرى أبي العلاء: د. طه حسين، ص243.

[40] – اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص30.

[41] – المصدر السابق: ج2، ص100.

[42] – تجديد ذكرى أبي العلاء، د. طه حسين، ص243.

[43] – اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص85.

[44] – المصدر السابق: ج1، ص61.

[45] – المصدر السابق: ج1، ص251.

[46] – اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص262.

[47] – أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم : عمر فروخ، منشورات دار الشرق الجديد، ط1، بيروت، 1960م، ص119.

[48] – اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص148.

[49] – أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم: عمر فروخ، ص120.

أمّا الجُسومُ فَلِلتراب مَآلُها وَعَييتُ بِالأرواحِ أنَّى تَسلُكُ[50]

ب–البعث والتناسخ:

قبل كل شيء إنّ المعري مسلم، وإنّ الإسلام جعل التصديق باليوم الآخر ركناً من أركان الإسلام، فذكر أشياء تدل على ما جاءت به الأديان، إذ قال:

وهي الحياة فعفةٌ أو فتنةٌ ثمّ الممات فجنّةٌ أو نارُ[51]

لقد تعددت الآراء حول هذه المسألة فمنهم من يقول:"إن المعري لم يقل ليس ثمّة آخرة أو خلود ولو أنّه فعل ذلك لما كان فيلسوفاً، ولا حكيماً ولا عالماً، ولكنه يقول ليس لدي ولا لدى غيري برهان على أنّ هناك حياة ثانية بعد الموت"[(52)].

يقول طه حسين: "أكثر ما تأثر به المعري بما كان يقرأ من الديانات فمالت نفسه إلى الإيمان بالبعث، وما أكثر ما تأثر به أبو العلاء بما كان يقرأ من كتب بعض الفلاسفة فمال إلى التصديق بخلود النفس، ولكن ما كان أكثر ما يعرض العقل لهذا الميل فيمحوه محواً، ويضعفه إضعافاً شديداً"[(53)].

إن أغلب الظن أنّ الشك أخذ طريقه إلى فكر أبي العلاء في اللحظة نفسها التي أخذ وعيه في التحرر سالكاً طريق العقل، و"لم يكن الطريق العقلاني غريباً في الفكر الفلسفي في ضوء عصر أبي العلاء"[(54)]، فالمعري وإن رأى أن يتخذ العقل إمامه في البحث عن الأشياء لم يستطع أن يقرر له العصمة، ولا أن يزعم قدرته على الوصول إلى اليقين المطلق، بل حفظ للشك حقّه في الدخول على ما أثبته العقل.

أما تأثره بالفلاسفة فنذكر رأي أفلاطون في خلود النفس حيث يقول:"إن النفس بسيطة، فهي ليست مركبة وبالتالي لا يمكن أن تنحل، فما هو بسيط لا يمكن أن يتغير أو يبدأ أو ينتهي، إن جوهر الأشياء بسيط، لا يتجزأ، لا ينقسم، إنّه خالدٌ"[(55)].

أمّا قضية التناسخ فمن المعروف أنها انتقال الروح من جسد إلى آخر بعد الموت، وذلك إتمامٌ لتطور الروح والوصول للكمال أو لتصحيح أخطاء في حياة سابقة، ربما لم يؤمن المعري بها بوصفها مصطلحاً معروفاً، بل ربما آمن بعبارة الولادة الجديدة؛ أي ينتقل إلى حلقة الوجود التالية، أو ربما تأثر ببعض الديانات التي تؤكد فردية الروح لكل إنسان في هذه الدنيا وفي الآخرة.

"كان المعري لا يؤمن بالتناسخ فإنّه لا يعتقد بالرجعة، وهي أنّ الإنسان يعود إلى الحياة بعد موته بزمن قليل، والفرق بين التناسخ والرجعة أنّ التناسخ هو استمرار النفس في الدنيا ويمكن في أجسام مختلفة، أما الرجعة فهي رجوع النفس بعد أمد، بعد موتها في جسدها"[(56)]، يقول:

أيُرَجّونَ أن أعودَ إليهم؟ لا ترَجُّوا فإنّني لا أعودُ
وَلِجسمي إلى التُّرابِ هُبوطٌ وَلِروحي إلى الهواءِ صُعودُ[57]

---

[50] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص157.**

[51] – **المصدر السابق: ج1، ص316.**

[52] – **أبو العلاء الشاعر الحكيم: عمر فروخ، ص123.**

[53] – **مع أبي العلاء في سجنه: د. طه حسين، ص35.**

[54] – **قضايا العصر في أدب أبي العلاء: عبد القادر زيدان، ط1، ج2، دار الوفاء، 2006م، ص187.**

[55] – **الموت في الفكر الغربي: جاك شورون، تر: كامل يوسف حسين، ص52.**

[56] – **تجديد ذكرى أبي العلاء: د. طه حسين، ص130.**

أمّا طه حسين فقد قال: "إنّ أبا العلاء لم يرَ التناسخ ولم يرضه بل ذمّه وشنّعه في رسالة الغفران، والظاهر أنّ عقل أبي العلاء لم يؤيّد التناسخ فرفضه، وأعرض عنه"[58]، يقول:

يقولونَ إنَّ الجسمَ ينقلُ روحهُ إلى غيره حتّى يهذّبها النقلُ

فلا تقبلنّ ما يخبرونكَ ضلّةً إذا لم يؤيدْ ما أتوك به العقلُ[59]

إننا نلاحظ في كل ما سبق كيف أعطى المعري القوة الفاعلة للعقل في تحسس الأشياء وتصديقها وتكذيبها، فنجده يعترف بالعقل في العالم الحسي الملموس، أمّا فيما يتعلق بالميتافيزيقيات أو ما وراء الكون وكل ما هو مجهول فالعقل يكون قاصراً عن إدراك هذه الأمور، ذلك ما يفتح المجال للظن والشكّ ليحلا مكان العقل.

الاستنتاجات والتوصيات

تحدّث المعري في أشعاره عن الحياة والموت، وكان فيها العديد من الأفكار والآراء والتأملات التي يمكن أن تكون ناتجة من دوافع نفسية واجتماعية قد حلّت بالمعري، لتكون السبب المباشر في إقباله على الموت وتفضيله له، إذ لا شيء يخلّصه من أذى الحياة ومرارتها سوى الموت العذب، فشاعرنا كان له نظرة مفادها أن الحياة كلها تعب وشقاء والموت عاجلاً أم آجلاً سيأتي، لذلك من الأفضل أن يجعل الموت إحدى الأمنيات، وربما رأى المعري في الموت المساواة، فمثلاً إذا زاد طموحي العلمي ووصلت إلى مرحلة تعليمية عالية سأموت مثلي مثل أي شخص آخر، كلنا عاديون حينما نموت، إذا زاد مالي لن آخذه معي بل سأموت وأتركه، وكما أنّ الموت يستر عيوب المرء التي فعلها في حياته، والكفن سيستره حينما يلفه فالذل الذي يلاقيه الإنسان عند موته ودفنه يوازي الذل الذي يعانيه البشر وهم أحياء، وبحكم ثقافة المعري واطّلاعه على العديد من الثقافات والأديان المختلفة، وكونه مسلماً قد جعله ذلك يتقبّل فكرة البعث، وربما المعري تأثر بالفلاسفة نوعاً ما، فمنهم من يمثّل موقف المنكرين لخلود النفس، فإذا مات الإنسان عدمت النفس، ومنهم من أجمعوا على خلود النفس وبقائها بعد فناء البدن بالموت.

المصادر والمراجع:

1-الروح والجسد: مصطفى محمود، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1998م.

2-سقط الزند: أبو العلاء المعري، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1367هـ-1957**م.**

3-أبو العلاء المعري الشاعر الحكيم : عمر فروخ، منشورات دار الشرق الجديد، ط1، بيروت، 1960م.

4-قضايا العصر في أدب أبي العلاء: عبد القادر زيدان، ط1، ج2، دار الوفاء، 2006م.

5-قلق الموت: د. أحمد محمد عبد الخالق، عالم المعرفة، الكويت، 1987م.

6-اللزوميات: أبو العلاء المعري، حققه جماعة من الأخصائيين،ج2،ط2،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م.

7-الموت في الفكر الغربي: جاك شورون، تر: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، 1984 م.

[57] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج1، ص234.**

[58] – **تجديد ذكرى أبي العلاء: د. طه حسين، ص245.**

[59] – **اللزوميات: أبو العلاء المعري، ج2، ص181.**

8–الموت والوجود: جيمس ب كارس، تر: بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م

Sources and references:

1- Soul and Body: Mustafa Mahmoud, 7th edition, Dar Al-Maaref, Cairo, 1998 AD.
2- The Fall of Zend: Abu Al-Alaa Al-Maarri, Beirut Printing and Publishing House, Beirut, 1367 AH - 1957 AD.
3- Abu Al-Ala Al-Maarri, the Wise Poet: Omar Farroukh, Dar Al-Sharq Al-Jadeed Publications, 1st edition, Beirut, 1960 AD.
4- Issues of the Contemporary in the Literature of Abu Al-Ala: Abdul Qadir Zaidan, 1st edition, vol. 2, Dar Al-Wafa, 2006 AD.
5- Death anxiety: Dr. Ahmed Muhammad Abdel Khaleq, The World of Knowledge, Kuwait, 1987 AD.
6- Al-Lazumiyat: Abu Al-Ala Al-Maarri, verified by a group of specialists, vol. 2, 2nd edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1406 AH - 1986 AD.
7- Death in Western Thought: Jack Shoron, Trans.: Kamel Youssef Hussein, The World of Knowledge, Kuwait, 1984 AD.
8- Death and Existence: James B. Kars, Trans. Badr Al-Deeb, Supreme Council of Culture, 1998 AD.